رشيد الجميلي

ولاية جيوش بك على الموصل

(٥٠٩هـ-٥١٥هـ)

أقطع السلطان محمد بن ملكشاه الموصل واعمالها للامير آقسنقر البرسقي ، بعد مصرع مودود سنة ٥٠٧هـ(١)،وسير معه ولده الملك مسعود في جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج(٢).وما ان استقر البرسقي في الموصل،حتى اجتمعت اليه عساكرها،وفيهم عمادالدين زنكي(٣)،وتميرك صاحب سنجار،فشرع البرسقي

(١) هو الامير شرف الدين مودود بن التونتكين ، كان قد تولى امارة الموصل سنة ٥٠٢هـ، وقد قتل بيد الباطنية في جامع دمشق، أنظر :رشيد الجميلي: الامير مودود والحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب العدد ١٤ .

(٢) ورد في التاريخ الباهر لا بن الاثير ص١٩ وأخذ عنه ابو شامة في الروضتين ج١ص ٦٩ أن السلطان محمد اقطع بلاد الموصل للامير جيوش بك بعد مصرع مودود ، في حين يذكر ابن الاثير نفسه في الكامل ج١٠ ص٥١٤ حوادث سنة ٥٠٩هـ(وفيها أقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقي للامير جيوش بك. وسير ولده الملك مسعوداً،وأقام البرسقي بالرحبة،وهي أقطاعه،الى أن توفي السلطان محمد) ،وهذا دليل قاطع على أن البرسقي كان تولى الموصل بعد مصرع مودود لفترة قصيرة ، ثم أخذها السلطان وأقطعها الامير جيوش بك سنة ٥٠٩هـ -أنظر : ابو الفدا: المختصر ج ٤ ص ١٤٦-١٤٨ ، ابن الوردي: تتمة المختصر ج٢ص٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص١٧٨ ،ابن خلدون: العبرج ٥ ص٨٩ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٥ ص٢٠٧.وقد رأيت من المفيد ان استعرض فترة حكم البرسقي القصيرة ليكون الحديث متصلا.

(٣) عمادالدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر.كان والده من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، وتولى عمادالدين امارة الموصل سنة ٥٢١هـ ، قتل في سنة ٥٤١هـ عند قلعة جعبر وقد استمر حكم آخر خانائه في لموصل حتى سنة ٦٣١هـ،انظر: رشيد الجميلي: دولة الاتابكة في الموصل بيروت ١٩٧٠

بإخضاع الإمارات الاسلامية المجاورة، وتمكين نفوذه فيها استعداداً للجهاد ضد الصليبيين. فسار الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود، وسار معه الى ماردين، فتمكن البرسقي من إخضاع صاحبها ايلغازي بن ارتق. وأرسل الأخير ولده أياز ليشارك في الحملة ضد الفرنج. واجتمع لدى البرسقي خمسة عشر الف فارس من المسلمين، فزحف الى الرها، وحاصرها في ذي الحجة من سنة ٥٠٨هـ(١).

واستطاع الفرنج مقاومة الحصار الذي ضربه المسلمون حول الرها، فضاقت الميرة على المسلمين. واضطروا للرحيل بعد حصار دام شهرين وأياماً. وأخذوا يوجهون غاراتهم ضد المناطق المحيطة بالرها وسروج وسميساط، في نفس الوقت الذي أرسل فيه صاحب مرعش وكيسوم ورعبان يعلن ولاءه وتبعيته للبرسقي(٢). ثم أقدم البرسقي على اعتقال أياز بن ايلغازي، متذرعاً بعدم حضور أبيه للجهاد، وهاجم ماردين ونهب سوادها، فأسرع ايلغازي يطلب النجدة من ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا، فخرج الاخير بمن معه من التركمان، وانضم الى ايلغازي وأنزلا الهزيمة بعساكر البرسقي، وأرغماه على العودة الى الموصل، وتخلص أياز من الاسر، فلما بلغ السلطان محمد هزيمة

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٠١، ابو شامة: الروضتين ج١ص٦٩. ابن خلدون: العبر ج٥ ص٨٩.

(٢) ابن الاثير: الكامل ج١٠ص٥٠١، ابن خلدون: العبر ج٥ القسم الاول ص٨٩٠ (كان كواسيل «كوغ باسيل» الارمني حاكم كيسوم ورعبان قد توفي سنة ٥٠٨هـ-١١١٢م، تاركا لارملته وابنهما بالتبني حكم المملكة، فساورها الشك من قبل الافرنج احست بأطماع تنكرد أمير انطاكية في بلادها، فراسلت البرسقي وطلبت ان يرسل اليها مندوباً للتفاوض في أمر تسليم بلادها، فتم لها ذلك واذعنت بالطاعة لاقسنقر البرسقي، وقد دلت هذه السياسة على سخط الارمن على السياسة التي اتبعها الفرنج وترتب عليها ان دخلت هذه الجهات في دائرة النفوذ السلجوقي. رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢٠٩-٢١٠، العريني: الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١ ص٤٦٥، عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص٤٧٢).

البرسقي، أرسل مهدداً ايلغازي، فخشي هذا الانتقام، وبادر بالتحالف مع طغتكين صاحب دمشق(١).

وبعد عودة آقسنقر البرسقي باشر السلطان محمد الى عزله عن ولاية الموصل واعمالها، وأقطعها للامير جيوش بك سنة ٥٠٩هـ، وأرسل معه ولده الملك مسعود يتدرب على شؤون الحكم. واقام البرسقي في الرحبة وهي اقطاعة حتى توفي السلطان محمد (٢).

مشاركة الموصل في القتال ضد الصليبين (٥٠٩هـ-١١١٥م).

كان السلطان محمد يسعى الى تحقيق نصر حاسم ضد الصليبيين، وكان ما تعرضت له حملاته التي وجهها الى الشام من الفشل، قد كشف عن أهمية توحيد الجبهة الاسلامية قبل المضي في قتال الصليبيين، ورأى انه لابد من فرض سلطانه على سائر الامراء المسلمين في الشام، الذين استغلوا فرصة انشغال المسلمين بالحرب مع الصليبيين، فعملوا على قطع صلتهم بالسلطنة السلجوقية في أصفهان، ولم يبق على الولاء والاخلاص للسلطان السلجوقي سوى بني منقذ في شيزر، الذين تعرضوا لتهديد الفرنج بأنطاكية، وقيرخان بن قراجا امير حمص، الذي كان يحرص على انتزاع حماة من طغتكين(٣).

وفي رمضان من سنة ٥٠٨هـ، ربيع ١١١٥م عهد السلطان محمد الى الامير برسق صاحب همذان، بقيادة حملة لاخضاع الامارات الاسلامية في الشام وشمال الجزيرة، ثم التفرغ لقتال الصليبيين(٤).

(١) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٠٢-٥٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص١٧٨، ابن خلدون: العبر مجلد ٥ قسم ١ ص٩٠.

(٢) الكامل، ص٥١٤، ابو الفدا: المختصر ج ٤ ص ١٤٨، ابن الوردي: تتمة المختصر ج٢ ص ٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص١٨٧، ابن خلدون: العبر ج ٥ص ٨٩.

(٣) رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢١٢، العريني: الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١ ص ٤٦٦-٤٦٧، القاهرة ١٩٦٣، عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص٤٢٨-٤٢٩.

(٤) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٠٩، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص١٧٨، ابن خلدون: العبر، المجلد الخامس قسم ١ ص٩٠.

وانضمت الى برسق قوات الموصل بقيادة جيوش بك، وعساكر سنجار والجزيرة بقيادة تميرك، فعبروا الفرات آخر سنة ٥٠٨هـ، ثم اتجهوا نحو حلب وكان برسق يريد اتخاذها قاعدة لحروبه في الشام. فأرسل الى لؤلؤ الخادم(١) ومقدم العسكر شمس الخواص، يطلب منهما تسليم حلب، فامتنعا عن الاجابة وبادرا بطلب النجدة من طغتكين وايلغازي، فحضرا على رأس الفي فارس (ودخلا حلب، فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان، وأظهروا العصيان)(٢). فاضطر برسق الى مهاجمة «حماة» وكانت تابعة لطغتكين صاحب دمشق فاستولى عليها عنوة، وسلمها الى (قرخان) صاحب حمص، تنفيذاً لأمر السلطان محمد، الذي يقضي بتسليمه كل بلد يفتحونه، وكان لذلك أثر سيء في نفوس الامراء. فثقل ذلك عليهم، (وضعفت نياتهم في القتال)(٣).

وبعد سقوط حماة بيد برسق، بادر طغتكين وايلغازي وشمص الخواص للاتصال بروجر امير أنطاكية، فعقدوا معه حلفاً، واتفقوا على محاربة عساكر السلطان محمد، وكان روجر قد تمركز على نهر العاصي عند جسر الحديد، فتقدم نحو أفامية، حيث اجتمع مع حلفائه، وأرسلوا من هناك يستنجدون بالملك بلدوين الاول (صاحب بيت المقدس) والامير بونز صاحب طرابلس، فأسرعا بالحضور، وكان بصحبة بلدوين خمسمائة فارس والف راجل، في حين حضر أمير طرابلس على رأس مائتي فارس والفين من المشاة(٤).

---

(١) بعد وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب في سنة ٥٠٧هـ خلفه ولده الب ارسلان وقام بأمره لؤلؤ الخادم فقبض الاخير على زمام الحكم بحلب، ولم يبق لألب ارسلان سوى الرسم، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص١٧٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص ٥٠٩، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص٩١.

(٣) نفس المصدر: الكامل ج ١٠ ص ٥٠٩-٥١٠، ابو الفدا: المختصر ج ٤ ص ١٤٧، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص ٩١.

(٤) ابن خلدون: العبر ج٥ ص٩١، رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢١٢-٢١٣؛ عاشور الحركة الصليبية ج١ ص٤٢٩.

امابرسق فقد تقدم الى شيزر، واتخذها قاعدة لشن الهجمات ضد كفرطاب التابعة للصليبيين، ثم تظاهر بالانسحاب والتراجع نحو الجزيرة، فظن بلدوين وبونزان الخطرقد زال، فعاد كل منهما الى إمارته، في نفس الوقت الذي عادت فيه قوات دمشق وحلب الى بلادها، فنجحت بذلك خطة برسق وتفرق الحلفاء فأسرع في العودة الى كفرطاب واستولى عليها عنوة، واسر صاحبها، وسلم المدينة الى حلفائه بني منقذ امراء شيزر(١).

ثم واصل المسلمون تقدمهم نحو معرة النعمان، وأخذوا يهددون أنطاكية وحلب، واستعد برسق للاستيلاء على قلعة زردنا—احدى القلاع الصليبية بالقرب من حلب—في نفس الوقت الذي أرسل فيه الامير جيوش بك على رأس قوة كبيرة الى حلب، وقد كان لهذه الخطوات التي اتخذها برسق أثر خطير على سلامة وجوده في تلك المنطقةفتفرق قسم كبير من قواته، في نفس الوقت الذي أثارت فيه هذه التحركات روجر صاحب أنطاكية واخذ يستعد لمهاجمة برسق في الوقت المناسب(٢). وذكر بعض المؤرخين ان اتجاه جيوش بك الى حلب جاء تلبية لرغبة لؤلؤ الخادم، الذي طلب من برسق ارسال كتيبة لاحتلال حلب وعبر له عن اعتذاره لامتناعه عن تسليم البلد(٣). وبينما كانت عساكر برسق متجهة الى حلب، كان روجر امير أنطاكية، قد أضاف اليه قوات بلدوين دى بو صاحب الرها، وانتظر الفرصة المناسبة للهجوم، فما كاد برسق يعسكر غربي سرمين—عنددانث—حتى انقضت القوات الصليبية في هجوم مفاجيء، فحلت الهزيمة بالمسلمين وقتل منهم عدد كبير، وكان تميرك صاحب سنجار قد نجح

(١) ابن الاثير: الكاملج ١٠ ص ٥١٠، ابو الفدا: المختصر ج ٤ ص١٤٧، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص٩١، رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢١٤، العريني: الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١ ص٤٦٨.

(٢) عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص٤٣٠-٤٣١.

(٣) رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢١٤، (جاء في رواية ابن الاثير في الكامل ج ١٠ص٥١٠ ان الامير جيوش بك انسحب في عسكر الموصل بعد الاستيلاء على كفر طاب وتوجه الى وادي بزاعة وملكه، وأورد ابن خلدون نفس الرواية الا انه ذكر ان جيوش بك استولى على مراغة وليس بزاعة انظر: ج٥ص٩١).

في بادىء الامر في صد ميمنة الصليبيين، الا ان وصول الامدادات الجديدة من حارم قلب الموقف وأحاط الفرنج بقوات سنجار وتمت الهزيمة(١)، وقد رفض برسق الفرار من المعركة عندما أشار عليه أصحابه بذلك وقال : (لا افعل، بل أقتل في سبيل الله، وأكون فداء للمسلمين، فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ، ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل، وحرقوا كثيراً من الناس، وتفرق العسكر، وأخذ كل واحد جهة)(٢).

تدخل جيوش بك في النزاع بين دبيس بن صدقة والبرسقي سنة ٥١٢ هـ

في جمادى الاول من سنة ٥١٢هـ عزم دبيس بن صدقة امير الحلة. على مهاجمة بغداد وجمع جموعاً كثيرة من العرب والاكراد، وفرق الاموال والسلاح، فخرج آقسنقر البرسقي لقتاله ومنعه من دخول بغداد. ويظهر ان خروج البرسقي لقتال دبيس قد أثار أطماع الملك مسعود بن السلطان محمد(٣) الذي كان مقيماً آنذاك في الموصل مع أتابكة جيوش بك، واورد المؤرخ ابن الاثير ان بعض الامراء في الموصل قد اشاروا على مسعود بقصد العراق (فانه لا مانع دونه)، فخرج مسعود وأتابكة جيوش بك بعساكر الموصل، وانضم اليهما كل من فخر الملك ابو علي بن عمار، صاحب طرابلس وزير مسعود، وعمادالدين زنكي، وصاحب سنجار، والامير ابو الهيجاء صاحب اربل، وكرباوي بن خراسان التركماني، صاحب البوازيج، وتقدمت هذه القوات مجتمعة نحو بغداد. وكان البرسقي معسكراً بأسفل الرقة، وما أن علم باقترابها حتى أسرع في العودة الى بغداد، وعزم على الدفاع عن المدينة ومنع قوات مسعود من دخولها، فبعث مسعود وجيوش بك، رسولا الى البرسقي يوضح له بأنهما لم يحضرا لقتاله،

(١) رنسيمان: الحروب الصليبية ج٢ ص٢١٤-٢١٥، عاشور: الحركة الصليبية ج١ص٤٣١.
(٢) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥١١، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص١٧٩.
(٣) كان السلطان محمد بن ملكشاه قد توفي في ذي الحجة من سنة ٥١١هـ، فخلفه ولده محمود في السلطنة، فتحركت أطماع مسعود وخرج على أخيه اكثر من مرة، وكان السلطان محمود قد عهد الى البرسقي بشحنكية بغداد في ٥١٢هـ. ابن الاثير ج١٠ ص٥٣٣-٥٣٤

وإنما جاءا نجدة له على دبيس، فاطمأن البرسقي من جهتهما وتم الصلح، وسمح لمسعود بدخول بغداد وأنزله بدار المملكة(١).

ثم جاءت الاخبار بوصول عساكر عمادالدين منكبرس(٢)، فأسرع البرسقي للقائه ومنعه من دخول بغداد، فاضطر منكبرس للتوجه الى النعمانية، فعبر دجلة هناك، واجتمع بدبيس بن صدقة، وكان الاخير قد شعر بضعفه، وأدرك أنه لا طاقة له في حرب مسعود ومن معه، فعمد الى استرضائهم (فأهدى لمسعود هدية حسنة، وللبرسقي، وجيوش بك)، وبعد وصول منكبرس وجد دبيس ان المصلحة تقتضي التعاون المشترك بينهما، فاتفقا على حرب مسعود (وكل واحد منهما قوى بصاحبه)، وهكذا عاد الموقف الى التأزم من جديد، فسار مسعود والبرسقي وجيوش بك لقتال دبيس وحليفه منكبرس، فلما وصلوا المدائن، بلغهم كثرة عساكرهما، فقرروا التراجع، وعبروا نهر صرصر، وحفظوا المخاضات عليه، ليمنعوا عساكر دبيس من العبور(٣).

تدخل الخليفة المسترشد بالله ودعوته للصلح(٤)

كان النزاع بين البرسقي وحلفائه من جهة، ودبيس ومنكبرس من جهة أخرى قد أدى الى قيام حالة من الفوضى والاضطراب وضياع الامن في منطقة السواد، «فنهبت الطائفتان السواد نهباً فاحشاً، نهر الملك، ونهر صرصر، ونهر عيسى، وبعض دجيل، واستباحوا النساء»(٥) فأرسل الخليفة المسترشد بالله، وفداً الى الملك مسعود، والبرسقي، يبلغهما استنكاره هذه الحال، (ويأمرهما بحقن الدماء،

(١) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٣٩-٥٤٠، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص٩٦.

(٢) عماد الدين منكبرس هو ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان، وهو ابن عم السلطان محمد بن ملكشاه. انظر: ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٣٩٨.

(٣) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٤٠، ابن خلدون: العبر ج٥ ص٩٧.

(٤) الخليفة المسترشد بالله ولي الخلافة بعد وفاة ابيه المستظهر بالله في ربيع الآخر من سنة ٥١٢هـ، وكان المسترشد ذا همة عالية، وشهامة زائدة، وهيبة شديدة، باشر الحروب بنفسه، وقتل سنة ٥٢٩هـ في شهر ذي القعدة. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٣١، طبعة مصر ١٩٦٤).

(٥) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٤٠، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص٩٧.

وترك الفساد، ويأمر بالموادعة والمصالحة)، وكان وفد الخليفة يتألف من سديد الدولة بن الانباري، والامام الاسعد الميهني، مدرس النظامية، فأنكر البرسقي أن يكون قد جرى منهما شيء من ذلك، وأعلن استعداده للعودة الى بغداد(١). أما دبيس ومنكبرس فانهما اعدا حملة من ثلاثة الاف فارس بقيادة منصور أخي دبيس، والامير حسين بن ازبك، ربيب منكبرس، وامروهما بعبور مخاضة عند نهر ديالى ومهاجمة بغداد، لخلوها من العساكر في ذلك الوقت، فلما علم البرسقي بمسيرهما انسحب بفرقة من العسكر وترك باقي الجند بصحبة ولده عزالدين مسعود، على نهر صرصر، وكان يصحب البرسقي عمادالدين زنكي. فنجحا في منع قوات دبيس وحليفه من عبور ديالى، وأقام البرسقي يومين في ذلك الموضع، فوصله كتاب ولده عزالدين مسعود يخبره فيه ان الصلح قد استقر بين الفريقين(أي بين دبيس ومنكبرس من جهة، والملك مسعود وجيوش بك من جهة أخرى)، فاستاء البرسقي من ذلك لوقوعه دون علمه، فعاد الى بغداد، وعبر الى الجانب الغربي، وعبرت في أثره عساكر منصور بن صدقة وحسين بن ازبك ودخلا بغداد ونزلا عند جامع السلطان، اما الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان، في حين ضرب دبيس ومنكبرس معسكرهما تحت الرقة(٢).

وقد أرجع ابن الاثير سبب هذا الصلح المفاجيء الى جيوش بك فذكر ان الاخير كان قد أرسل الى السلطان محمود يطلب زيادة الاقطاع له ولمسعود، (فوصل كتاب الرسول من المعسكر يذكر انه لقي من السلطان إحساناً كثيراً، وانه اقطعهما اذربيجان، فلما بلغه رحيلهما من بغداد اعتقد انهما قد عصيا عليه، فعاد عما كان استقر، ويقول ان السلطان قد جهز عسكراً الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس، فأرسله الى جيوش بك، وضمن له اصلاح السلطان

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٤٠، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص٩٧.

(٢) المصدر السابق والكامل ج١٠ ص٥٤٠-٥٤١، المصدر السابق: العبر ج٥ ص٩٧.

له وللملك مسعود، وكان منكبرس متزوجاً بأم الملك مسعود، وأسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك، واستقر الصلح)(١)، فخشي منكبرس وجيوش بك، من أن يحول البرسقي دون هذا الصلح، فاتفقا على ارسال فرقة من العسكر لتهديد بغداد، وارغام البرسقي على الانسحاب والابتعاد عن مسرح الاحداث، فتم عقد الصلح بين الفريقين كما قدمنا.

دور جيوش بك في الحرب بين مسعود وأخيه السلطان محمود

استمر دبيس بن صدقة في سياسته الرامية الى إثارة الفتنة بين سلاطين وملوك البيت السلجوقي، فوجد في الملك مسعود خير من يسخره لهذا الغرض، لما كان يعلمه من أطماعه في السلطنة ومنافسته لاخيه محمود، فعمل على مكاتبة جيوش بك أتابك مسعود في الموصل، يحرضه على طلب السلطنة لمسعود، ويعده بالعون والمساعدة، (وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطانين بركياروق ومحمد ابني ملكشاه)(٢).

وكان قسيم الدولة آقسنقر البرسقي(٣)مقيماً آنذاك في الرحبة، وهي أقطاعه من الملك مسعود، وكان بينه وبين دبيس عداوة مستحكمة، فراسل الاخير جيوش بك يحرضه على البرسقي ويشير بالقبض عليه، بحجة ميله الى السلطان محمود، وبذل دبيس اموالا كثيرة لصاحب الموصل لهذا الغرض، فعلم البرسقي بأخبار هذه الاتصالات بين جيوش بك ودبيس، فترك الرحبة، وسار الى السلطان محمود وأبلغه عصيان أخيه مسعود وخروجه عن طاعته، فأرسل السلطان محمود الى أخيه مسعود وأتابكة جيوش بك يحذرهم من مغبة العصيان(٤). (ويعدهم بالاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته، فلم يصغوا الى قوله، وأظهروا ما

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص ٥٤١—٥٤٢ .

(٢) نفس المصدر: الكامل ج ١٠ص٥٦٢ .

(٣) كان البرسقي قد فارق شحنكية بغداد، الى الرحبة، وأضاف اليه مسعود مراغة.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٢١٧، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٩٦—٩٧.

كانوا عليه، وما يسرونه. وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة. وضربوا له النوب الخمس)(١).

وكانت عساكر السلطان محمود آنذاك متفرقة، فشجع ذلك مسعوداً واتابكه فأسرعوا في الخروج لقتاله، وجمع جيوش بك جموعا كثيرة وجعل مؤيد الدين الطغرائي وزيرا للملك مسعود(٢)، فكان اللقاء بينهما في عقبة اسد اباذ منتصف ربيع الاول ٥١٤ هـ وكان السلطان محمود في خمسة عشر الفاً في مقدمتهم آقنسقر البرسقي فأبلى بلاء حسنا، وانكشفت المعركة عن هزيمة عساكر الملك مسعود، واسر عدد كبير من امرائه وقادة عسكره. فيهم الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود، فأمر السلطان بقتله(٣).

اما مسعود فقد قصد بعد هزيمة اصحابه جبلا بينه وبين الوقعة اثناء عشر فرسخا حيث اختفى هناك مع عدد من غلمانه، وارسل (ركابي عسكره عثمان) الى اخيه السلطان محمود يطلب الامان، فأجابه الى ذلك، وامر البرسقي بالمسير اليه واحضاره، وكان بعض الامراء قد اتصلوا بالملك مسعود بعد ان ارسل الاخير يطلب الامان، واشاروا عليه بالتوجه الى الموصل، ومكاتبة دبيس بن صدقة والاجتماع معه لاستئناف الحرب ضد اخيه السلطان محمود، فوافق مسعود على ذلك وسار الى الموصل، فلما وصل البرسقي اخبر بمسيره، فجد في اللحاق به، فأدركه على بعد ثلاثين فرسخا من مكانه، واخبره بعفو اخيه واقنعه بالعودة معه(٤). (فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه، ففعلوا ذلك،

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٦٣.

(٢) هو الاستاذ ابو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي، كان قد اتصل بالملك مسعود فاستوزره وعزل أبا علي بن عمار، سنة ٥١٣هـ، وحسن له مخالفة أخيه السلطان محمود والخروج عن طاعته. ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص ٥٦٢-٥٦٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص ٢١٧، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص١٢١، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ص٩٦-٩٧، ابن اكثير: البداية والنهاية ج١٢ ص ١٨٥.

(٤) المصدر السابق: المنتظم ج٩ ص٢١٧، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ص٩٧، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص١٢١، ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٦٣-٥٦٤.

وامر السلطان ان ينزل عند والدته، وجلس له، واحضره، واعتنقا، وبكيا، وانعطف عليه محمود، ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه في كل افعاله)(١).

مصير جيوش بك بعد هزيمة مسعود

كان جيوش بك قد سار الى عقبة أسداباذ بعد هزيمته امام عساكر السلطان محمود على امل لقاء مسعود والاجتماع به، الا ان مسعودا لم يصل اليه كما كان متفقا معه، ثم انتظره بمكان آخر، فلم يصل، فقرر جيوش بك العودة الى الموصل فنزل بظاهرها. وباشر في الاستعداد لحرب السلطان محمود واعد المدينة لمقاومة أي حصار قد يضرب حولها، فجمع الغلات من السواد. واجتمعت اليه العساكر فلما بلغه مسير مسعود الى اخيه وعفوه عنه، اسقط في يده، وادرك خطورة موقفه (وعلم انه لا مقام له على هذا الحال، فسار كأنه يريد الصيد، فوصل الى الزاب، وقال لمن معه: اني قد عزمت على قصد السلطان محمود، وأخاطر بنفسي فسار اليه، فوصل وهو بهمذان، ودخل اليه، فطيب قلبه وأمنه، واحسن اليه). (٢)

وفي صفر من سنة ٥١٤هـ، اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها، وما يضاف اليها، كالجزيرة، وسنجار، وغيرهما، الامير آقسنقر البرسقي، وتقدم الى سائر الامراء بطاعته، وامره بمجاهدة الفرنج (٣).

اما جيوش بك فبقي ملازما للسلطان محمود بهمذان، فأمره بالمسير الى حرب اخيه الملك طغرل في اذربيجان فسار اليه جيوش بك، فلما علم طغرل واتابكه كنتغدى بذلك، سارا الى كنجة هربا من عساكر السلطان، فلم يجر قتال بينهما ولم يلبث كنتغدى ان توفي في شوال من سنة ٥١٥هـ، فانضم الامير آقسنقر الاحمديلي، صاحب مراغة، الى الملك طغرل واتفقا على قتال السلطان محمود، فسارا الى تبريز، فجاءهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٦٤.
(٢) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٦٤، ابن الوردي: تتمة المختصر ج٢ص٣٦.
(٣) نفس المصدر: الكامل ج ١٠ ص٥٨٨.

الى اذربيجان، واقطعه البلاد، وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان، فمالوا الى الصلح، وراسلوا السلطان بالطاعة، فأجابهم الى ذلك، وتم الصلح في المحرم من سنة ٥١٥هـ (١).

مصرع جيوش بك:

وفي رمضان من سنة ٥١٦هـ أقدم السلطان محمود على قتل الامير جيوش بك، على باب تبريز. وكان السلطان قد اقطعه اذربيجان وجعله مقدم عسكره، (فجرى بينه وبين جماعة من الامراء منافرة ومنازعات، فأغروا به السلطان، فقتله في رمضان)(٢).

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص٥٨٧-٥٩٧-٥٩٨.
(٢) نفس المصدر: الكامل ج ١٠ ص ٦٠٣-٦٠٤.

مصادر البحث

١— ابن الاثير: الكامل في التاريخ — طبعة بيروت١٩٦٦

٢— ابن الاثير: التاريخ الباهر — طبعة القاهرة١٩٦٣تحقيق عبد القادر طليمات

٣— ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة — وزارة الارشاد بمصر

٤— ابن الجوزي: المنتظم — طبعة حيدر اباد١٣٥٩هـ

٥— ابن خلدون: العبر — طبعة بيروت

٦— ابن كثير: البداية والنهاية — طبعة بيروت١٩٦٦

٧— ابن الوردى: تتمة المختصر — طبعة النجف١٩٦٩

٨— ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر — طبعة بيروت١٩٦٠

٩— ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين — القاهرة١٩٥٦

١٠— البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق — طبعة مصر١٩٠٠، ١٣١٨هـ

١١— الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية، — لاهور١٩٣٣

١٢— السيوطي: تاريخ الخلفاء، — طبعة مصر١٩٦٤.

١٣— رنسيمان: الحروب الصليبية، — ترجمة الباز العريني

١٤— عاشور: الحركة الصليبية، — القاهرة١٩٦٣

١٥— العريني: الشرق الاوسط والحروب الصليبية. — القاهرة١٩٦٣